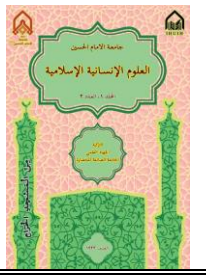

جامعة الإمام الحسين العلوم الإنسانية الإسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة

IHUIH

سرّ الحاجة إلى الإمام المعصوم

محمد تقي مصباح اليزدي

محمد فرجي[1] (الباحث الذي قام بتأليف المقال)

الكلمات المفتاحية: الإمامة، الإمامة، مصباح اليزدي، الغدير

الملخّص

وبالتأمل في الآيات والأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ودراسة تاريخ الإسلام نجد أن الله سبحانه وتعالى قد عيّن أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب (ع) خليفة لرسول الله (ص) وإماما من بعده، كما عين الأئمة المعصومين من بعده. يعتقد الشيعة أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وبأمر من الله سبحانه وتعالى، قد أمر باستمرار التعليم وبيان الدين واستمرار الحكم من بعده بتعيين الخليفة في سياق "الإمامة"، إلا أهل السنة يعتبرون عليا (عليه السلام) الخليفة الرابع للنبي، وعلى عكس الشيعة لا يقبلون الإعتقاد بإمامة الأئمة الإثني عشر بخصائصهم الثلاث وهي العصمة، والعلم، والتنصيب الإلهي. يريد هذا المقال أن يبحث ما إذا كان أساس الخلاف بين الشيعة والسنة يتعلق بمجال العقيدة والكلام، والخلافات الفقهية المتعلقة به لها جانب ثانوي، أم أن هذا الاختلاف هو مجرد اختلاف فقهي؛ أو خلاف سياسي مما نشاهده بين حزبين سياسيين في انتخاب مرشح للرئاسة مثلا؟ وهكذا يتبين في هذا المقال أن مسألة الإمامة هي في الأساس قضية كلامية ينبغي مناقشتها من الناحية الاعتقادية، وليس أن تدرس كفرع فقهي أو قضية سياسية وتاريخية.

معلومات المقالة

جامعة الإمام الحسين

العلوم الإنسانية الإسلامية

المجلد ١، العدد ١ (١٤٤٤)، ٣٢-٢٥

تاريخ الإرسال: ٢٠ شوال ١٤٤٤

تاريخ القبول: ٢٠ صفر ١٤٤٤

تاريخ النشر: ٢٨محرم ١٤٤٤

مراجع: ١٠

مراسلة: m.faraji@ihu.ac.ir

[1] طالب ماجستير جامعة الامام الحسين الشاملة.

مقدمة

يتوهم الكثير ممن لم يدرس المسائل العقائدية بعمق ودقة أن الخلاف بين الشيعة وأهل السنة فيما يخص الإمامة يتركز حول هذه النقطة، إن الشيعة يعتقدون أن النبي (صلى الله عليه وآله) نصب علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة له في إدارة الامة، بينما أهل السنة يعتقدون أنه لم يصدر مثل هذا التعيين، وإنما الناس قد اختاروا الحاكم بإرادتهم و إختيارهم ، وأن الخليفة الأول عين بنفسه خليفة من بعده، وفي المرحلة الثالثة، وضعت مهمة اختيار الخليفة على عاتق جماعة مؤلفة من ستة أفراد، والخليفة الرابع انتخبه الناس أيضا انتخابا عاما، ولذلك لا توجد طريقة معينة لتعيين الخليفة بين المسلمين، ومن هنا تصدى لهذا المنصب بعد الخليفة الرابع كل من كان أقوى من غيره عسكريا، كما هو الاسلوب المتبع في غير البلدان الاسلامية أيضا.

وبعبارة اخرى قد يتصور البعض أن الشيعة يعتقدون في مجال تعيين الإمام الاول بما يعتقده أهل السنة في تعيين الخليفة الثاني من قبل الخليفة الاول، مع هذا الاختلاف بأن رأي النبي (صلى الله عليه وآله) وتعيينه قد تقبله الناس! ولكن مع غض النظر عن هذا التساؤل: كيف امتلك الخليفة الاول مثل هذا الحق في تعيين الخليفة من بعده؟ ولماذا لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) – باعتقاد أهل السنة – أكثر شعورا واهتماما بالإسلام منه؟ وكيف أهمل الامة الاسلامية الوليدة دون قائد مع أنه كلما خرج من المدينة للجهاد، كان يعين خليفة له فيها(الامة الاسلامية)، إضافة إلى أنه (صلى الله عليه وآله) أخبر بنفسه عن وقوع الخلافات والفتن في امته؟ مع غض النظر عن كل هذه التساؤلات – وتساؤلات اخرى – لابد وأن نعرف أن الخلاف بين السنة والشيعة يدور قبل كل شئ حول هذه الفكرة، (هل إن الإمامة مقام ديني خاضع للتشريع والتعيين الإلهي؟ أم أنها سلطة دنيوية خاضعة للعوامل الاجتماعية)؟ يعتقد الشيعة بأنه حتى النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه لم يكن له أي دور مستقل في تعيين خليفته، بل قام بهذا التعيين بأمر إلهي. وفي الواقع إن الحكمة في ختم النبوة مرتبطة – تماما – بتعيين الإمام المعصوم. ومع وجود مثل هذا الإمام فإنه سيكفل توفير المصالح الضرورية في الامة الاسلامية بعد النبي صلى الله عليه وآله. ومن هنا يتبين أنه لماذا طرحت الإمامة في الفكر الشيعي كأصل عقائدي، لا كحكم فقهي فرعي ولماذا اعتبرت الشروط الثلاثة في الإمام (العلم الموهوب من الله، والعصمة، والتعيين الإلهي) ولماذا امتزجت هذه المفاهيم في عرف الكلام الشيعي مع مفهوم المرجعية في معرفة الأحكام الإلهية والحكومة والولاية على الامة الاسلامية، وكأنما لفظة الإمامة تدل على جميع هذه المفاهيم. ومن هنا – وبعد أن تعرفنا على مفهوم الإمامة وموقعها بين معتقدات الشيعة – نبحث حول مدى صحة هذا المعتقد.

ضرورة وجود الإمام

أن الدين الإسلامي دين عالمي وخالد، لا ينسخ ولا يأتي بعد نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله) نبي آخر، وانما يتوافق ختم النبوة مع الحكمة من بعثة الأنبياء فيما لو كانت الشريعة السماوية الأخيرة مستجيبة لجميع الاحتياجات البشرية، وقد ضمن بقاؤها حتى نهاية العالم. وقد توفر القرآن الكريم على هذا التكفل والضمان، فقد تعهد الله تعالى بحفظ هذا الكتاب العزيز عن كل تغيير وتحريف، ولكن لا تستفاد جميع الأحكام والتعاليم الاسلامية من ظواهر الآيات الكريمة. فمثلا، يمكن التعرف من القرآن الكريم على عدد ركعات الصلاة، وطريقة ادائها، ومئات اخرى من الأحكام الواجبة والمستحبة. وليس القرآن الكريم في مقام بيان تفاصيل الأحكام والتشريعات، بل وضع مهمة بيانها

على عاتق النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال العلم الذي وهبه الله تعالى له (غير الوحي القرآني).[1]

١.١.١. ولكن الظروف الصعبة التي عاشها النبي (صلى الله عليه وآله) كسنوات الحصار في شعب أبي طالب، وعشر سنين من القتال مع أعداء الاسلام، لم تسمح له ببيان جميع الأحكام والتشريعات الاسلامية للناس كافة. وحتى ما تعلمه الأصحاب، لم يضمن الحفاظ عليه، فقد اختلف في طريقة وضوئه (صلى الله عليه وآله)، بالرغم من أنها كانت بمرأى من الجميع سنوات طويلة. إذن، فإذا كانت أحكام هذا العمل معرضة للاختلافات والخلاف – وهو عمل يحتاجه جميع المسلمين ويمارسونه يوميا، وليست هناك دوافع على حدوث التحريف والتغيير العمدي فيه – فإن حظر الخطأ والاشتباه في النقل، والتحريفات المتعمدة أشد وأكثر في مجال الأحكام الدقيقة، وخاصة تلك الأحكام والتشريعات التي تصطدم وأهواء بعض الأفراد، وأطماع بعض الجماعات ومصالحهم.[2] (أميني، الغدير، ١٤٢٩ هـ)

ومن خلال هذه الملاحظات يتضح أن الدين الاسلامي إنما يمكن طرحه كدين كامل وشامل يستجيب لكل الاحتياجات ولجميع البشر، وحتى نهاية العالم، فيما لو افترض وجود طريق لتوفير المصالح الضرورية للامة في داخل الدين نفسه، تلك المصالح التي يمكن أن تتعرض للتهديد والتدمير مع وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا يتمثل هذا الطريق إلا في تعيين خليفة صالح للرسول (صلى الله عليه وآله)، هذا الخليفة يملك العلم الموهوب من الله، ليمكنه بيان الحقائق الدينية بكل أبعادها وخصوصياتها، ويتمتع بتملكه العصمة، حتى لا يخضع لتأثير الدوافع النفسانية والشيطانية ولا يرتكب التحريف العمدي في الدين، وكذلك يمكنه القيام بالدور التربوي الذي كان يملكه النبي، والأخذ بيدي الأفراد المؤهلين وإيصالهم الى أسمى درجات الكمال، وكذلك – حين تتوفر الظروف الاجتماعية الملائمة – يتصدى للحكومة وتدبير الامور في الامة الاسلامية، وتنفيذ التشريعات الاجتماعية الاسلامية، وتطبيقها ونشر الحق والعدالة في العالم.

والحاصل أن ختم النبوة إنما يكون موافقا للحكمة الالهية فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، الإمام الذي يمتلك خصائص نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله) كلها عدا النبوة والرسالة. وبذلك تثبت ضرورة وجود الإمام، وكذلك ضرورة توفره على العلم الموهوب من الله، ومقام العصمة، وكذلك لزوم تعيينه ونصبه من قبل الله تعالى لأنه – عز وجل – وحده الذي يعرف الشخص الذي أعطاه هذا العلم والعصمة، وهو الذي يملك حق الولاية على عباده أصالة، ويمكنه منح مثل هذا الحق في درجة ادنى لافراد يتمتعون بشروط معينة.

ومما يلزم التأكيد عليه، أن أهل السنة لا يعترفون بمثل هذه الخصائص لأي خليفة من الخلفاء، فلا يدعون نصبه وتعيينه من الله تعالى والنبي (صلى الله عليه وآله)، ولا توفر الخلفاء على العلم الموهوب من الله، وملكة العصمة، بل سجلوا في كتبهم

[1] راجع سورة البقرة: الآية ١٥١، سورة آل عمران: الآية ١٦٤، سورة الجمعة: الآية ٢، سورة النحل: الآيات ٦٤-٦٦، سورة الأحزاب: الآية ٢١، سورة الحشر: الآية ٧.

[2] . ذكر العلامة الأميني (رحمة الله عليه) في كتاب الغدير أسماء سبعمائة من الكذابين والمحرفين، وقد نُسِب إلى بعضهم أكثر من مائة ألف حديث. (الغدير ج٥ ص٢٠٨ وما بعده).

الصحيحة حالات كثيرة من زلاتهم وأخطائهم وعجزهم عن الإجابة على أسئلة الناس الدينية. ومن ذلك أنهم نقلوا عن الخليفة الأول قوله: «انّ لى شيطاناً يعتريني»، كما نقلوا عن الخليفة الثاني قوله إنه سمى بيعة الخليفة الأول "فلتة"[٣] (عمل متسرع ومن غير إحكام) (ابن أبي الحديد ١٤٠٤هـ).

كما قال هذه الجملة مرات عديدة: "لو لا علي لهلك عمر"[٤] لكن زلات الخليفة الثالث[٥] والخلفاء الأمويين والعباسيين أوضح من أن تذكر، ومن له معرفة بسيطة بتاريخ المسلمين يعرف هذه الأمور جيدا (مصباح اليزدي، ١٤٤١هـ).

حادثة غدير خم

ومن الأحداث التي توضح أهمية وضرورة حاجة الأمة إلى الإمامة حادثة غدير خم، وبتأمل أكثر في هذا الحدث سنفهم أن الحاجة إلى الإمامة هي مبدأ اعتقادي أو حكم فقهي ثانوي!

ولما نزل النبي (صلى الله عليه وآله) غدير خم راجعا من حجة الوداع في ١٨ من ذي الحجة من السنة القمرية العاشرة، نزل عليه جبريل وقرأ الآية ٦٧ من سورة المائدة في تنصيب اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ««يا ايها الرسول، بلغ ما انزل اليك من ربك، فان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس...».

ما قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بإنجازه يوم الغدير

أثناء الخطبة قام النبي (صلى الله عليه وسلم) بعملين على المنبر كانا في غاية الأهمية والإعجاب؛

١. رفع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يد علي بن ابي طالب (عليه السلام)

قام النبي (ص) أولا بتهيئة مقدمات مشيرا فيها إلى مكانة خلافة وولاية أمير المؤمنين علي (ع) إشارة لسانية بغية أن يسد الطريق لأي شبهة أو شك إلى الأبد ويحبط أي جهد في هذا الطريق، متطرقا بعد ذلك إلى شرحه للناس بطريقة عملية فقال أولا: ولن يخبركم بباطن القرآن وتفسيره إلا هذا الذي أمسك بيده فأرفعه وأمسك بذراعه فأرفعه. وبعد ذلك فعل النبي ما قال وأخذ بذراع علي بن أبي طالب (ع). وفي هذا الوقت فتح أمير المؤمنين (ع) يده إلى وجه النبي (صلى الله عليه وآله) فرفع النبي يديهما نحو السماء. ثم رفع النبي (ص) أمير المؤمنين (ع) حتى كانت قدماه قبل ركبتيه و بان بياض إبطيهما، فنظر إليهما القوم. ثم رفع صوته قائلا: «فَمَن كنتُ مَولاه فَعَلِيٌّ مَولاهُ».(مجلسي م، بحار الأنوار، ١٤٢٨ق.).

٢. أخذ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) البيعة لأميرالمومنين (عليه السلام)

وبما أن أخذ البيعة من كل واحد من ذلك الجمهور الغفير كان أمرا مستحيلا من ناحية، وكان من الممكن أن يتخلى أشخاص عن البيعة ولا يحضر آخرون لأسباب مختلفة، وبالتالي لم يكن من الممكن الحصول على التزام عملي وشهادة شرعية منهم،فكان التصرف الثاني للنبي (صلى الله عليه وآله) هو قوله في آخر حديثه: أيها الناس، بما أنه لا يمكن مبايعة الجميع بكف واحدة في هذا الوقت القليل، وبحضور هذا العدد الكبير من الناس، فليردد الجميع ما أقوله، فقولوا: نطيع أمرك الذي بلغتنا

[٣] . راجع شرح نهج البلاغة ج١ ص١٤٢، ١٥٨، ج٣ ص٥٧.

[٤] راجع الغدير ج٦ ص٩٣ وما بعده.

[٥] راجع الغدير ج ٨ ص ٩٧ وما بعده.

من الله سبحانه وتعالى في علي بن أبي طالب والأئمة من ولده ونرضي به، ونبايعك بقلوبنا وأرواحنا وألسنتنا وأيدينا... فأخذ منا ميثاق له من قلوبنا وأرواحنا وألسنتنا وضمائرنا وأيدينا. ومن الواضح أن الرسول الأكرم قد علمهم الكلمة الدقيقة التي يجب على الناس ترديدها وحدد تعبيراتها بحيث لا يعترف كل شخص بطريقه الخاصة، بل يلتزم الجميع بما يطلبه الرسول الأكرم منهم ويبايعونه. فلما انتهى كلام النبي (صلى الله عليه وآله) أعاد الناس كلامه جميعاً، وبذلك أخذت البيعة العامة (مجلسي م.ب، ١٤٢٨هـ).

جزء من خطبة غدير (أهمية مسألة الإمامة)

مَعاشِرَالنّاسِ، إِنَّما أَكمَلَ الله عَزَّوَجَلَّ دينَكمْ بِإمامَتِهِ. فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقامَهُ مِنْ وُلْدى مِنْ صُلْبِهِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى الله عَزَّوَجَلَّ فَأُولئِك الَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ (فِى الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ) وَ فِى النّارِهُمْ خالِدُونَ، (لايُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلاهُمْ يُنْظَرونَ)

مَعاشِرَالنّاسِ، هذا عَلِى، أَنْصَرُكمْ لى وَأَحَقُّكمْ بى وَأَقْرَبُكمْ إِلَى وَأَعَزُّكمْ عَلَى، وَالله عَزَّوَجَلَّ وَأَنَاعَنْهُ راضِيانِ. وَ مانَزَلَتْ آيَةُ رِضاً (فى الْقُرْآنِ) إِلاّ فيهِ، وَلا خاطَبَ الله الَّذينَ آمَنُوا إِلاّبَدَأَ بِهِ، وَلانَزَلَتْ آيَةُ مَدْحٍ فِى الْقُرْآنِ إِلاّ فيهِ، وَلاشَهِدَ الله بِالْجَنَّةِ فى (هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ) إِلاّلَهُ، وَلا أَنْزَلَها فى سِواهُ وَلامَدَحَ بِها غَيْرُهُ.

مَعاشِرَالنّاسِ، هُوَ ناصِرُ دينِ الله وَالْمجادِلُ عَنْ رَسُولِ الله، وَ هُوَالتَّقِى النَّقِى الْهادِى الْمَهْدِى. نَبِيُّكمْ خَيْرُ نَبى وَ وَصِيُّكمْ خَيْرُ وَصِى (وَبَنُوهُ خَيْرُالْأَوْصِياءِ) مَعاشِرَالنّاسِ، ذُرِّيَّةُ كلِّ نَبِى مِنْ صُلْبِهِ، وَ ذُرِّيَّتى مِنْ صُلْبِ أَميرِالْمُؤْمِنينَ عَلِى .مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّ إِبْليسَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحَسَدِ، فَلاتَحْسُدُوهُ فَتَحْبِطَ أَعْمالُكمْ وَتَزِلَّ أَقْدامُكمْ، فَإِنَّ آدَمَ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرضِ بِخَطيئَةٍ واحِدَةٍ، وَهُوَ صَفْوَةُالله عَزَّوَجَلَّ، وَكَيْفَ بِكمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَ مِنْكمْ أَعْداءُالله، أَلا وَ إِنَّهُ لايُبْغِضُ عَلِيّاً إِلاّشَقِى، وَ لايُوالى عَلِيّاً إِلاَّ تَقِى، وَ لايُؤْمِنُ بِهِ إِلاّ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ.

وَ فى عَلِى – وَالله – نَزَلَتْ سُورَةُ الْعَصْر: (بِسْمِ الله الرَّحْمانِ الرَّحيمِ، وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسانَ لَفى خُسْرٍ) (إِلاّ عَلِيّاً الّذى آمَنَ وَ رَضِى بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ) مَعاشِرَالنّاسِ، قَدِ اسْتَشْهَدْتُ الله وَبَلَّغْتُكمْ رِسالَتى وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّالْبَلاغُ الْمُبينُ. مَعاشِرَالنّاسِ، (إِتَّقُواالله حَقَّ تُقاتِهِ وَلاتَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (امينى , الغدير, ١۴۴١ق)

١.١.١.١. مناقشة البحث

وعلى الرغم من إجماع المسلمين في كليات الدين العامة، مثل المبادئ والعقائد والأخلاق والأحكام (بما في ذلك الشعائر الدينية، والأحكام المدنية والقانونية، والقوانين القضائية والجنائية والسياسية، وغيرها من شؤون الإسلام)، إلا أنهم في بعض العقائد الجزئية وشرح الأحكام والقوانين لديهم اختلافات، فهذه جعلتهم أتباع ديانات ومذاهب مختلفة. ولهذه الاختلافات يمكن إمعان النظر إلى محورين أساسيين: الأول؛ محور العقائد، وهو ما يتعلق بعلم الكلام، والآخر هو محور الأحكام (بمعناه العام)، وهو ما يتعلق بعلم الفقه. ومن الأمثلة الواضحة على الاختلاف حول المحور الأول: الاختلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في المسائل الكلامية؛ ومثال الاختلاف حول المحور الثاني هو الاختلاف بين مذاهب أهل السنة الأربعة في الفقه.

ومن الخلافات المشهورة بين مذاهب الإسلام هو الخلاف بين الشيعة والسنة في مسألة الإمامة. فاختارت الشيعة (الإمامية) علي بن أبي طالب (عليه السلام) كإمام وخليفته بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، خلافا لأهل السنة الذين يعتبرونه الخليفة الرابع. وفي الحقيقة أن السمة الأساسية لمذهب

الإمامية هي الإعتقاد بإمامة اثني عشر إماماً بثلاث خصائص (العصمة، والعلم اللدني، والنصب من الله تعالى).

وهنا يطرح السؤال نفسه؛ هل أصل هذا الخلاف متعلقا بمجال العقائد والكلام، والخلافات الفقهية المتعلقة به لها جانب ثانوي، أم أن هذا الخلاف مجرد خلاف فقهي (التفتازاني، ١٤١٢هـ)؛ أم خلاف سياسي كالخلاف بين حزبين سياسيين حول انتخاب مرشح للرئاسة؟

والحقيقة أن هذه المسألة (على الأقل من وجهة النظر الشيعية) هي مسألة دينية وعقائدية، وتعتبر أبعادها الفقهية والسياسية جوانب ثانوية. بمعنى آخر: إن نظام العقائدية الشيعية له حلقات متماسكة ومتناغمة، ومسألة الإمامة إحدى حلقاتها، وبزوالها تفقد السلسلة المذكورة تماسكها وسلامتها. ومن أجل تبين هذه المسألة لا بد من إلقاء نظرة عابرة على النظام العقائدي الشيعي، حتى يتبين موقف الإمامة في هذا النظام التسلسلي، ويتضح اهتمام الشيعة بهذه المسألة، وسبب ضرورتها.

الحلقة الأولى في النظام العقائدي للإسلام هي الإيمان بوجود الإله الواحد ومن ثم الإعتقاد بالصفات الذاتية والفعلية[٦] . وفي الرؤية الإسلامية فإن الله تعالى خالق جميع ظواهر الوجود، وكذلك ربّها ومدبرها، ولا يخرج أي مخلوق عن نطاق عالم إبداعه وربوبيته. لم يخلق الله عز وجل شيئا باطلا، بل خلقت جميع المخلوقات وفق نظام حكيم، فتقع في سلاسل طولية وأفقية وتمتد من الأزل إلى الأبد، تحتضن نظاما موحدا ومتناغما. فهي تتشكل وتديرها قوانين السببية وفقا لمقتضيات الحكمة الإلهية.

ومن بين مخلوقات الله – التي لا تعد ولا تحصى– هو الإنسان الذي يتميز بخصائص الوعي والإدراك والإرادة والاختيار، ونتيجة لذلك، سيكون له طريق ذو اتجاهين (نحو السعادة أو الشقاوة الأبدية) فبناء على هذا، فإنه يخضع ربوبية خاصة باسم التشريعية[٧] بالإضافة إلى الربوبية التي تشمل ظواهر غير إرادية. أي أن مقتضيات ربوبية الله الشاملة للإنسان هي إتاحة أسباب وتمهيدات الحركة الإرادية له، بما في ذلك معرفة الهدف ومعرفة طريق الوصول إليه، حتى يتمكن من الاختيار الواعي، وفي هذا السياق فإن مقتضى الحكمة الإلهية هو أن يعوّض النقص في معرفته الحسية والعقلية بالعلم المنزل.

وبهذا تتضح ضرورة نظام الوحي والنبوة، لأنه لو ترك الله تعالى الإنسان لنفسه ولم يعلمه الطريق الصحيح إلى السعادة الأبدية بواسطة الأنبياء، كأن مضيفا يدعو ضيفا ولا يعطيه عنوانه للضيافة!

تعرضت تعاليم الأنبياء لتغييرات وتحريفات متعمدة وغير متعمدة مع مرور الزمن وتحت تأثير العوامل المختلفة، حتى أنها فقدت خصائصها الإرشادية والتنويرية، ومن هنا جاءت الحاجة إلى

---

[٦] ان الصفات التى تنسب إلى الله تعالى إما أن تكون مفاهيم منتزعة من الذات الإلهية من حيث نوع من الكمال كالحياة والعلم والقدرة، وإما أن تكون مفاهيم منتزعة من نوع من العلاقة بين الخالق والمخلوقات مثل الخالقية والرزاقية. الفئة الأولى تسمى "الصفات الذاتيّة" والفئة الثانية تسمى "الصفات الفعليّة".

[٧] وتكون ربوبية الله على المخلوقات فى بعض الأحيان دون وساطة اختيارهم الواعى، مثل ربوبية الله على السماوات والأرض، وكذلك على الجمادات والنباتات والحيوانات، وبعض جوانب الحياة البشرية، مثل الخصائص الموروثة التى لاتتأثر باختياره. إن ربوبية الله فى هذه الحالات هى مجرد تكوينية، ولكن فيما يتعلق بالأشياء التى يمكن لكائنات مثل البشر أن تفعلها بمعرفتهم واختيارهم، يستخدم الله أيضًا نوعًا آخر من التدبير ومن خلال أسباب أخرى مثل إرسال الأنبياء والكتب السماوية، يبيّن لهم كيفية اختيار الطريق الصحيحة للوصول إلى السعادة. وهذه الربوبية، التى تتم بوضع قوانين وإحكام معينة تؤدى إلى السعادة والكمال، تسمى بالربوبية التشريعية.

إرسال نبي آخر. لإحياء التعاليم المسبقة، وإذا لزم الأمر، إضافة تعاليم أخرى إليها أو استبدالها.

وهنا يطرح سؤال: هل ستستمر هذه العملية إلى الأبد، أم من الممكن أن تكون الشريعة كاملة وتبقى بمنأى عن آفة التحريف، ولن تكون هناك حاجة لنبي آخر؟ جواب الإسلام هو الخيار الثاني، وجميع المسلمين متفقون على أن الإسلام هو آخر الشريعة الإلهية، ونبي الإسلام هو خاتم الأنبياء، والقرآن الكريم، باعتباره المصدر الرئيسي لهذه الشريعة، قد وصل إلينا سليما. وبدون تحريف وستبقى كذلك. لكن القرآن الكريم لم يشرح جميع التعاليم التي يحتاجها الإنسان بالتفصيل، وترك الشرح التفصيلي على عاتق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث يقول: «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ». وبهذه الطريقة يتم إثبات المصدر الثاني لمعرفة الإسلام (السنة)، ولكن هذا المصدر لا يتمتع بحصانة مثل حصانة القرآن، كما تؤكده الأدلة التاريخية وتنبأ الرسول الأكرم نفسه بأن من سينسب كذب إليه ويقتبس كلاما كاذبا من كلامه. ولذلك يطرح سؤال آخر، ما هي الخطة التي وضعتها ربانية الله لتلبية هذه الحاجة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وفي هذه المرحلة بالتحديد يمكن رؤية حلقة مفقودة في الفكر والعقائد عند أهل السنة، ولكن في نظام العقائدية الشيعية، تشرق حلقة مشرقة وهي حلقة الإمامة، أي تبيين أحكام الإسلام وشرائعه وتفسير مجملات القرآن الكريم ومتشابهاته بعد النبي (صلى الله عليه وآله سلم) كان منوطاً بمن يمتلك العلم اللدني والعصمة. فكان يتمتع بجميع المناصب و ميّزات الرسول (صلى الله عليه وآله سلم) كمنصب الولاية و الحكومة سوى النبوة والرسالة وقد استفاد الله)، وبعبارة أخرى: ربوبية الإلهي التكوينية تقتضي وجود مثل هؤلاء في هذه الأمة، وربوبية الإلهي التشريعية تقتضي طاعتهم.

٢.١.١.١. النتيجة

إن حاجة الإنسان الدائمة إلى برنامج يلبي احتياجاته ويضمن سعادته، جعلنا نشهد تقديم برامج مختلفة ومتضاربة أحياناً من قبل المدارس الإنسانية عبر التاريخ. الإنسان محدود، لكن احتياجاته غير محدودة، لذلك بالاعتماد على العقل، لا يستطيع أن يقدم خطة كاملة لسعادته فحسب.

من واجبات الإنسان اكتشاف الطريقة الصحيحة للحياة، ويجب أن تكون الإجابة عن هذا السؤال صحيحة وموثوقة تمامًا؛ لأن كل إجابة محتملة تحتاج إلى اكتساب التجربة والاختبار. في حين أن حياة الإنسان المحدودة لا تكفي لمثل هذه التجربة، خاصة وأن الطرق المقترحة كثيرة ومتنوعة. ولهذا السبب جاء الأنبياء لهداية البشرية، وجاء كل منهم بدين يلبي احتياجات البشرية.

أكمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الدين وأسلم بصفته خاتم أنبياء الله، والسؤال الآن هو: من الذي يجب أن يهدي البشرية بعد النبي؟

نظام الإمامة هو في الحقيقة استمرار لنظام الرسول، وعترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد كانوا خلفاء مهامه دون أن يكون لهم مقام النبوة، وقاموا بحفظ وصيانة تراثه للأجيال القادمة، وفي الوقت نفسه وكلهم الله تعالى لإدارة المجتمع الإسلامي وتولي منصب الحكم والولاية على الأمة، رغم أن تنفيذها لم يكن إلا فترة قصيرة. كما كانت حالة بعض الأنبياء فبادروا بواجبهم في فترة زمنية محدودة، كل الدين هو الإمام، والأرض بدون الإمام تبتلع أهلها. يقول أبو حمزة: سألت الإمام الصادق (عليه السلام): هل تبقى الأرض بغير إمام؟ فقال: ""إذا أصبحت الأرض دون الإمام لغرقت"" (الكليني، ١٤٠٧هـ).

فعلى هذا الأساس، أصبح واضحاً أن مسألة الإمامة هي في الأساس مسألة كلامية ينبغي مناقشتها باعتبارها أمر اعتقادي، ولايجوز دراستها كفرع فقهي أو قضية سياسية وتاريخية.

المراجع

١. أميني، ع (١۴۴١)هـ. الغدير مؤسسة البعثة
٢. مصباح يزدى, م. (١۴۴١ق). آموزش عقايد. شركت چاپ و نشر بين الملل.
٣. مصباح يزدي، م (. (١۴۴١هـ). تعليم الأفكار. منشورات بين الملل
۴. ابن أبي الحديد(. (١۴٠۴هـ). شرح نهج البلاغة) ج١). قم: مدرسة آية الله الأعظمي المرعشي النجفي (ره)
۵. . أميني، ع (. (١۴٢٩هـ). الغدير (النسخة ۵). (م. بهبودي، مترجم) مؤسسة البعثة
۶. تفتازانى, م. (١۴١٢ق). شرح المقاصد (نسخه ٢). قم, الشريف الرضي – قم ايران.
٧. كلينى. (١۴٠٧ق). كافى (نسخه ١). تهران: دار الكتب الاسلاميه.
٨. مجلسى, م. (١۴٢٨ق). بحارالانوار (نسخه ٣٧). دارالكتب الاسلاميه.
٩. مجلسى, م. (١۴٣٢ق). بحارالانوار (نسخه ۴٣). (م. قائم فرد, التأليف) اصفهان: دليل ما.
١٠. مجلسى, م. ب. (١۴٢٨ق). بحارالانوار (نسخه ٣٧). دارالكتب الاسلاميه.